

الخوولة عند العرب قراءة لنصوص من التراث العربي

تأليف الدكتور

عبدالرحمن بن إبراهيم الدباسي

جامعة الملك سعود - كلية الآداب

قسم اللغة العربية

كنت أقرأ ترجمة أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي عند ابن النديم فأورد في جريدة كتبه كتاباً عنوانه «من فخر بأخواله من قريش»^(١) فاستوقفني موضوع هذا الكتاب، ورأيت في موضوع الخؤولة عند العرب موضوعاً طريفاً وجديداً، يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه، خصوصاً إذا علمنا أن من العرب من فخر بأخواله أو مدحهم أو مدح بهم، ومنهم من ذمهم أو هجاهم، أو هجى بهم، ومنهم من أقام في أخواله، ومنهم من انتسب إليهم دون آبائهم وعشيرته، إلى غير ذلك مما سوف يجليه هذا البحث ويتضمنه.

ثم إن من الباحثين من رأى في احتفاء العرب بخؤولتهم امتداداً لنظام الأمومة عندهم، إذ كانت القرابة فيهم - على حد زعمه - لا تعد إلا من جهة الأم.^(٢) غير أن الشائع المشهور أن العرب أكثر تنوعاً بآبائهم وأعمامهم، وقد قال علقمة بن علاثة لعامر بن الطفيل في منافرتهم: «ولكني أفاخرك بآبائي وأعمامي»^(٣)، وقال مسكين الدارمي: عمى زُرارة غير مُنتَحَلٍ وأبي الذي حُدِّثَته عمرو^(٤) وفخر العرب بآبائهم وأعمامهم ماثوث في آثارهم لا يحتاج إلى بسط ولا استطراد.

(١) الفهرست، تحقيق رضا - تجدد، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ١٠٩.

(٢) ج. ولكن G-Wilken في كتابه «الأمومة عند العرب» انظر مجلة المقتطف ج ١، مجلد ٧٨، ١ يناير ١٩٣١ م،

١١ شعبان ١٣٤٩ هـ، ص ص ٩٤-٩٨.

(٣) أبوالفرج الأصفهاني؛ الأغاني، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م،

٢٨٥/١٦.

(٤) البغدادي؛ الخزانة، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٩ م - ١٩٨٣ م،

٧٢/٣.

الخؤولة في اللغة :

الخال أخو الأم، والخاله أختها، يقال خال بين الخؤولة، وبين فلان خؤولة،
وتقول: اسْتَخْلَ خالاً غير خالك، واستخول خالاً غير خالك، أي اتخذ^(٥). ورجل
مُخُولٌ، ومُخُولٌ كريم الأحوال، واستخول فلان: بني فلان اتخذهم أحوالاً^(٦). قال
أوس بن حجر:

وهم لمقل المال أولاد علةٍ وإن كان محضاً في العمومة مُخُولاً^(٧)
وقال عنتره بن شداد:

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من مُعِمِّ مُخُولٍ^(٨)
وقال ربيعة بن مقروم:

وأخي محافظة عصى عذاله وأطاع لذته مُعِمِّ مُخُولٍ^(٩)
وقال الأعلم عمرو بن مالك:

ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى وإن كان فيهم ماجد العَمِّ مُخُولاً^(١٠)
ومدح الحجاج بن علاط السلمي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بقوله:

(٥) انظر الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (خول) ٤/ ١٦٩٠، وابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ،
(خول) ١١/ ٣٧٧.

(٦) ابن سيده: المخصص، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ١٤٩/ ٣٨ وابن دريد: الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام
هارون، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، ص ٣٠٠.

(٧) ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠هـ، ص ٩١، والمرزباني: الموشح،
بناية محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٨٥هـ، ص ٨٢، وابن قتيبة: الشعر والشعراء،
تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧م، ٢٠٨/ ١.

(٨) ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، ص ٢٥٠، وأسامة بن منقذ: لباب الآداب،
تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، ص ٢١٨ والشعر والشعراء ١/ ٢٥٤.

(٩) الأغاني، تحقيق علي السباعي وآخرين، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ١٠٤/ ٢٢،
والخزاعة: ٤٣٧/ ٨.

(١٠) المرزباني: معجم الشعراء بناية د. ف. كرنكو، القاهرة، مكتبة القدسي، ط ١، ١٩٥٤م ص ٢١١.

لله أي مُدَّيَّبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المُعَمِّ المُخُولاً^(١١)
وقالت العرب: رجل مُقَابِل، ومُقَابِل ومُدَّابِر إذا كان كريم النسب من قبل
أبويه. ^(١٢) وقال الجاحظ في شأن قطري بن الفُجاءة: «فإنه المُقَابِلُ المدابر والمُعَمِّ
المُخُول؛ لأن أحواله بنو الحبناء، وأعمامه آل الفُجاءة»^(١٣). أما الوليد بن يزيد بن
عبد الملك فقد قال مفتخراً:

إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا مُقَابِل بين أحوالي وأعمامي^(١٤)
ولكنهم ربما استخدموا لفظة «المقابل» في غير الشائع المشهور، أي في دناءة النسب
ووضاعته وخموله، ومن ذلك قول لهدم الكاتب في عبدالله بن الأبهتم، وكان سألَه
فحرمه:

مُقَابِل في اللؤم من خال وعم^(١٥)

على أن الخزولة قد لا يُقتصر بها على أخ الأم أو أختها، بل ربما امتدت لتشمل
رَهط الأم وعشيرتها، ومن ذلك قول النابغة الجعدي يتوعد الأخطل:
فلولا أن تغلبَ رَهطُ أُمي وكعبٌ وهو مني ذو مكانٍ
تراجمنا بصدر القول حتى نصير كأننا فرسا رَهانٍ^(١٦)
ونحو هذا قاله أبو دَهَبَل الجُمحي في قبيلة هُذَيْل، وكانت أمه منهم. ^(١٧)

(١١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ،
١٥٩/٣.

(١٢) الصحاح: (قبل) ١٧٩٦/٥، و(دب) ٦٥٤٧/٢، واللسان: (قبل) ٥٣٨/١١ و(دب) ٢٧٢/٤، والهمداني:
الألفاظ الكتابية، بيروت، دار الهدى، بدون تاريخ، ص ٣١.

(١٣) البرصان والعرجان، تحقيق عبدالسلام هارون، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م، ص ٩٦.

(١٤) الأغاني ١٠/٧.

(١٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط ٢،
١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، ١٣٠/٦.

(١٦) الخزائن ٢٧٩/١٠.

(١٧) الأغاني ١١٤/٧، ١١٥.

وقال ابن قتيبة في شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ولا نعلم أنه كان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن بنو زهرة يقولون : نحن أحوال رسول الله ؛ لأن آمنة منهم» . (١٨) .

بل ربما امتدت الخؤولة لتشمل أحوال الأب وأحوال الأم ، فحسان بن ثابت يهجو أباسفيان بن الحارث بأبيه وخال أبيه ، لأنه خاله ، فيقول :

عَضَضْتُ بِأَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِهِ وَعَضَّتْ بَنُو النَّجَارِ بِالسُّكْرِ الرَّطْبِ
فَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِهِ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ مُعَاظَلَةِ الْكَلْبِ (١٩)

والوليد بن يزيد يجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - خاله ؛ لأن أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، يقول الوليد :

نَبِيَّ الْهَدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالُهُ نَبِيَّ الْهَدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يَفَاخِرُ (٢٠)
وَمَنْ الطَّرِيفُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ أَنَّ الْعَرَبَ رَبَّهَا امْتَدَّتْ بِالْخُؤُولَةِ إِلَى الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ
وَالْحَيَوَانِ ، فَفِي قَصِيدَةِ لِلْبَهْرَانِيِّ قَوْلُهُ :

بَنْتُ عَمْرٍو وَخَالُهَا مَسْحَلُ الْخَيْدِ رَ وَخَالِي هُمَيْمٌ صَاحِبُ عَمْرٍو

وقد فسره الجاحظ بقوله : «فزعم البهراني أن هذه الجنينة بنت عمرو صاحب المخبل ، وأن خالها مسحل شيطان الأعشى . . . وأما قوله : صاحب عمرو ، فكَذَلِكَ أَيْضاً يُقَالُ إِنَّ اسْمَ شَيْطَانِ الْفَرَزْدَقِ عَمْرٍو» . (٢١) وسئل عبيد الكلابي عن الإبل - وقد أظهر حبها والتعلق بها - أبيتها وبينكم قرابة؟ قال : نعم ، لها فينا خؤولة . (٢٢)

(١٨) المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، بدون تاريخ ص ١٢٩ ، ١٦٦ .

(١٩) ديوانه ، تحقيق وليد عرفان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤ م ، ٤٠٠ / ١ .

(٢٠) الأغاني ١ / ٧ ، ٦ .

(٢١) الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ .

١٣٨٧ هـ ، ٢٢٥ / ٦ ، ٢٢٦ .

(٢٢) المصدر نفسه ٤ / ١٠٠ .

تخير أمهات الأبناء وتحري نباهة الأخوال :

وقد عني العرب عناية خاصة بتخير أمهات أبنائهم ؛ لأن هؤلاء الأبناء ينزعون - غالباً - إلى أخوالهم ، فإذا كان الأخوال من ذوي النباهة والشرف ، شرف الأبناء ونبهوا ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء » ، (٢٣) وقال أكثم بن صيفي : « المناكح الكريمة مدارج الشرف » ، (٢٤) وقال عثمان بن أبي العاص : « الناكح مغترس فلينظر امرؤ أين يضع غرسه » ، (٢٥) أما ابن الدمينه فيوجه إلى ضرورة النظر في أخلاق أب الزوج وخالها وفي نسبهما :

إذا كنت مرتاداً لنجلك أمه بنفسك فانظر من أبوها وخالها (٢٦)
وقال دعل بن علي الخزاعي ساخرأ بعداوة أعدائه :

فلو أني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن تعالى فانظري بمن ابتلاني (٢٧)

وفي نفاء الخؤولة ونباهة الخال قالت العرب : « فلان مُعِمَّ خُول » (٢٨) ، و « فلان محض في العمومة والخؤولة » . (٢٩) ومع ذلك فإننا نجد من أبناء العرب الأشراف من

(٢٣) ابن ماجه : السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م ، ٦٣٣/١ .

(٢٤) الميداني : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بدون تاريخ ، ٢٩١/٣ .

(٢٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ط ٤ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ٢٦٧/٣ .

(٢٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، مصر ، المؤسسة المصرية العامة ، عن طبعة دار الكتب ، بدون تاريخ ، ٦/٤ .

(٢٧) المبرد : الكامل ، بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، القاهرة ، مكتبة روضة مصر ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م ، ٧٧/٣ ، ومجمع الأمثال : ٨١/٣ ، وارجع إلى نظائر هذه النصوص في الأغاني : ٣٤/١ ، والبيان ، ٩٩/٣ .

(٢٨) الشعر والشعراء : ٢٥٤/١ ، ومعجم الشعراء : ٢١١ .

(٢٩) الشعر والشعراء : ٢٠٨/١ ، ومعاهد التنصيص ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م ، ١٣٥/١ .

كان ابناً لسيّئة أو أمة من الحبشيات أو السنديات أو الفارسيات أو الروميات (٣٠). وكانت العرب تسمى الذي أبوه عربي وأمه أعجمية هجيناً، وكانت في الجاهلية لا تورثه. (٣١)

وكانت بنو أمية لا تستخلف بني الإمام، قال عمرو بن مُبرِّدة العبدي :
ألم أنهكم أن تحملوا هُجَنَاءكم على خيلكم يوم الرهان فَتُذَرَكُ
وما يستوى المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها مُتَشَرَكُ
وأدركه خالاته فنزعنه ألا إن عِرْقَ السُّوء لا بد يُذَرِكُ (٣٢)
وهجا جرير بني تغلب فجعل الزنج أكرم منهم خؤولة، (٣٣) إمعاناً في إيذائهم وقَدَح
صفاتهم، وكذلك فعل حكيم بن عياش الكلبي في هجائه لبني أسد. (٣٤)

على أن من أبناء الإمام من فخر بأخواله من الأعاجم، ولعل في ذلك مواجهة
للضغوط النفسية التي يلقاها بها أبناء الحرائر وهم يفخرون بأصالة خؤولتهم
وعراقتها. ومن فخروا بأخوالهم الأعاجم من الشعراء عنترة بن شداد، (٣٥) وأبونخيلة
الحماني (٣٦)، وبلال بن جرير (٣٧)، وابن ميادة، (٣٨) وإسماعيل بن يسار. (٣٩)

(٣٠) انظر ابن حبيب: المنق، حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ص ٥٠٣ - ٥٠٨،
والمحبر، بعناية ايلزه لبختن شتير، حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م ص ٣٠٦،
٣٠٧، وابن الكلبي: مخطوط المثالب (نسخة دار الكتب المصرية) ص ٣١ - ٣٤.

(٣١) العقد الفريد: ١٢٩/٦.

(٣٢) العقد الفريد ١٣٠/٦، وعيون الأخبار ٧/٢، ومعجم الشعراء ٢٤٠.

(٣٣) المصدر نفسه ١٣٠/٦ جاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١،
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ١/١٩٠، والبيان ٨٢/٤، والكامل للمبرد ١٥٧/٢، ٢٩٥.

(٣٤) رسائل الجاحظ، تحقيق هارون، ١/١٩٩.

(٣٥) لباب الآداب ١٨٣.

(٣٦) الشعر والشعراء ٦٠٢/٢، والبيان ٣٢٥/٣، والكامل للمبرد ١٢٣/٢.

(٣٧) الكامل للمبرد ١٢١/٢.

(٣٨) الأغاني ٢٦١/٢، ٢٦٦.

(٣٩) المصدر نفسه ٤١١/٤.

وتتحرى العرب نجابة الولد وقوته في تباعد أعمامه من احواله في النسب، ويؤيد ذلك الطب المعاصر، وفي الأثر: «اغتربوا لا تُضَوُّوا» (٤٠)، وقال الأصمعي: «قال رجل: بنات العم أصبر والغرائب أنجب» (٤١)، وقال جرير لابنه بلال: إن بلالاً لم تَشْنُهُ أمُّه لم يتشابه خاله وعمُّه (٤٢) وقال آخر:

فتى لم تلده بنت عمٍ قريبةٌ فيَضَوِّى وقد يَضَوِّى رديمُ القرائب
وقال آخر:

مكنني بيت رفيعٌ وجراً وخال كُعْرَيَانِ النجوم نَزِيعٌ (٤٣)
غير أن قرابة الأعمام والأخوال ليست مثلبة ولا منقصة عند العرب؛ ولهذا مدح النابغة الجعدي المنذر بن مُحَرَّق بقوله:

لدى ملك من آل جفنة، خاله وجَدَّاه من آل امرئ القيس، أزهر (٤٤)
والكميت يمدح عبد الملك بن مروان بقوله:

أبوك أبو الخير ابن عائشة التي دعت عمَّها من آل بَرَّة خالها (٤٥)
أما سُحيم بن وَثِيل الرياحي فيفخر بأن أعمامه وأخواله من بني رِيَّاح. (٤٦)

(٤٠) الصحاح ٢٤١٠/٦، واللسان ٤٨٩/١٤ (ضوا).

(٤١) عيون الأخبار ٦٧/٢.

(٤٢) المصدر نفسه ٦٧/٢، والمعاني الكبير لابن قتيبة، صححه سالم الكرنكوي، بيروت، دار النهضة، بدون تاريخ ٥٠٣/١.

(٤٣) البيتان في المعاني الكبير ٥٠٢/١، ونزيع: غريب: أراد بذلك أن خاله ليس بقريب من أبيه فيضوى.

(٤٤) أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، تحقيق محمد علي الهاشمي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٧٧٥/٢.

(٤٥) المعاني الكبير ٥٠٦/١، وبرة: هي بنت مر بن أد ولدت أسد بن خزيمة والنضر بن كنانة.

(٤٦) الأصمعي: الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، بدون تاريخ، ٢٠، والعقد الفريد ١٩٢/٥، والخزانة ٢٦١/١.

أثر الخؤولة في الملامح والقرائح والطبائع :

تنبه العرب إلى آثار الخؤولة في الملامح والقرائح والطبائع ، مثل الطول والقصر والبياض والسواد ، والقوة والضعف ، والشجاعة والجبن ، والشعر والخطابة وغير ذلك .

ففي قصة عروة بن الورد مع الرجل الهذلي الذي أعجبه منه فطنته ودهاؤه وفراسته ، ولكنه سرعان ما ينكص ويُخدع ، سأله عروة عن سبب ذلك فقال الرجل : «ذلك لأخوال السوء» ، (٤٧) ، وذكر الجاحظ أبناء الزنجيات ونزوعهم إلى الزنج في البسالة والأنفة ، فذكر خُفَّاف بن نُدْبَه ، وعباس بن مرداس ، وابنى شداد عنترة وأخاه هَرَّاسَة ، وسُلَيْلُك بن السُّلَكة . (٤٨)

وكان الجراح بن الأسود بن يَعْقَر ضئيلاً ضعيفاً في صباه ، فقال فيه أبوه ، وقد صرعه أخذ الصبيان :

فآباء جَرَّاح ذؤابة دارم وأخوال جراح سَرَاة بنى نَهْدٍ
وكانت أم الجراح أخيدة أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم . (٤٩)
وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله - عنها شديد الأدمة ، قالوا : أتاه ذلك من قبل أخواله آل مظعون . (٥٠)

وتأثير الخؤولة في الاستعدادات والمواهب الأدبية والإبداعية مما لم يخف أمره على العرب ، ففي كتبهم وآثارهم إشارات إلى مثل هذا التأثير من قبل الأخوال ، فقد قال رجل يصف رجلاً من إِيَاد بالعيّ ، وكان أبوه وخاله خطيبين :

(٤٧) الأغاني ٣/ ٨٣ - ٨٥ .

(٤٨) رسائل الجاحظ (تحقيق هارون) ١/ ١٩٢ .

(٤٩) الأغاني ١٣/ ٢٦ .

(٥٠) البرصان والعرجان ص ١٠٨ .

أَبوك مُعِم في الكلام وَنَحُولِ وَخَالُكَ وَثَّابُ الجرائيم في الخطب (٥١).
 وقد ذكروا أثر الخوْولة في نفر من الشعراء كان أخوالهم شعراء فأتاهم الشعر من
 قبلهم مثل زهير أتاه الشعر من قبل خاله بَشَامَة بن الغدير (٥٢)، والأعشى أتاه الشعر
 من قبل خاله المسيَّب بن عَلس، وطرفة بن العبد أتاه الشعر من قبل خاله المتلمس
 الضبيعي (٥٣). وخال الفرزدق العلاء بن قرظة الضبيّ شاعر، وكان الفرزدق يقول:
 إنما أتاني الشعر من قبل خالي (٥٤).

وربما عرَضوا ببعضهم؛ لأن أمه غلبت أباه في شبهه فنزع إلى أخواله، ولذا هجا
 ابن قيس الرقيات زياد بن عمرو العتكي بقوله:
 غلبت أمُّه أباه عليه فهو كالكَابُليِّ أشبه خالَه (٥٥).
 وقال آخر في ابنه الذي نزع إلى خاله:

والله ما أشبهني عصامُ
 لا خلق منه ولا قوامُ
 نمتُ وعِرْقُ الخال لا يَنَامُ (٥٦).

وقال حسان بن ثابت، وقد تزوج امرأة من أسلم فولدت له غلاماً:
 غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب وافٍ وآخر أكشَمُ (٥٧).

(٥١) الكامل للمبرد ٣١/١.

(٥٢) انظر الأمدي: المؤلف والمختلف، ملحق بمعجم الشعراء للمرزباني، تصحيح وتعليق كرنكو، القاهرة، مكتبة
 القدسي، ١٣٥٤هـ، ص ١٦٤، وابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين
 عبد الحميد، بيروت، دار الجليل، ط ٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٣٠٦/٢، والخزانة ٣٣٣/٢.

(٥٣) انظر العمدة ٨٧/١، ٨٨، وابن سعيد، نشوة الطرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، الأردن، مكتبة الأقصى،
 ١٩٨٢م، ٦٥٧/٢، ٦٥٨.

(٥٤) الشعر والشعراء ٤٧٨/١.

(٥٥) الكامل للمبرد ١٥٥/٣، وعيون الأخبار ١٢٢/٤.

(٥٦) الكامل للمبرد ١٣٥/١، وعيون الأخبار ١٢٢/٤.

(٥٧) ديوانه ١٧٨/١.

الخؤولة والعمومة :

ولمكانة الخؤولة عند العرب فإنهم - غالباً - ما يذكرون الأخوال مع الأعمام في معرض المدح أو الفخر أو الهجاء، فالرجل يُذم بأخواله كما بُذم بأعمامه، ويُمدح بأولئك كما يُمدح بهؤلاء، فالزبير بن عبدالمطلب قال، وهو يزن أخاه العباس :
أكرم بأعراقك من خالٍ وعمٍّ (٥٨)

وعمر بن الخطاب كان يتوعد عمارة بن الوليد، إن لم يكف عن معايبته بقوله :
والله لولا شعبة من الكرم
وسِطةٌ في الحي من خال وعم
لضمني الشر إلى غير مضم (٥٩)

أما العذيل بن الفرخ العجلي فيقول :
إني لأكرمُ شاعرٍ في وائلٍ عما أغرَّ إذا نُسبتُ وخالا (٦٠)
والفرزدق يخاطب جريراً بقوله :
بأي أب يا ابن المراغة تبتغي رهاني إلى غاياتِ عمي وخاليا (٦١)
وقال أعشى همدان :
ألم تعلمي أنني مُعْرِقٌ نَماني إلى المجد عمي وخالي (٦٢)

(٥٨) المنمق ص ٤٣٦، والقيالي: الأمالي، بعناية محمد عبد الجواد الأصمعي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م، ١١٥/٢.

(٥٩) المنمق ص ١٤٨.

(٦٠) شعر العذيل بن الفرخ، جمع نوري حمودي القيسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ١٩، ١٩٧٦ م، ص ٣٤٤، ٣٦٠.

(٦١) أبوعبيدة معمر بن المنفي: كتاب النقائض، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٥ م، ١٧٢/١.

(٦٢) الأغاني ٥٢/٦ وارجع إلى نظائر لهذا الربط بين الأعمام والأخوال في المصدر نفسه ٢٢٦/٦، ٣٧/١٥، والفضليات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط ٦، بدون تاريخ، ١١٢، ومعجم الشعراء ص ٣٠٤، ٣٤٩، والنقائض ٣٣٢/١، وعيون الأخبار ٢٤٠/١، وجمع الأمثال ٥٢٠/٣، والخزانة ٤١٠/٢، ٤٩٣/٦.

وكان العرب يُفدّون بالأخوال والخالات، كما يُفدّون بالآباء والأمهات والأعمام، ولا يُفدّى المرء إلا بما غلا عليه وعز، وهم يفدون بالأُم والخالة تارة، (٦٣) وبالعم والخال تارة، (٦٤) وربما فدوا بالخالات دون غيرهن. (٦٥) ولعل ذلك راجع إلى ظروف اجتماعية خاصة، ولكنه على أي حال دال على مكانة الخوّولة عندهم.

ومع كل هذا لا نعدم في العرب من يتعصب لأبائه وأعمامه ضد أخواله، ولما شرط عوف بن محلم على عمرو بن حُجر - وكان خطب إليه أم إياس بنت عوف - إن زوجته أن يسمى بنيتها، قال عمرو: أما بنونا فنسميهم بأسائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا (٦٦) ومن العرب من قتل خاله بأبيه، ومن أولئك سماعة بن عمرو الدارمي، وهو الذي يقول في شأنه مسكين الدارمي:

وَقَاتِلْ خَالَه بِأَبِيه مَنَا سِمَاعَةَ لَمْ يَبْعْ حَسَباً بِمَالِ (٦٧)

ومنهم هجرس بن كليب الذي قتل خاله جسّاس بن مرة بأبيه وقال في ذلك: أصاب أبي خالي وما أنا بالذي أُمْتُلُ أمرى بين خالي ووالدي وأوردت جَسَّاسَ بن مُرَّة غُصَّةً إذا ما اعترتني، حَرْهَا غير بارد (٦٨) ومنهم من قاتل أخواله ثأراً لأعمامه وانتقاماً لهم، ومن أولئك الأسود بن يعفر النهشلي، وهو الذي قال: «عض بهن أمه من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه» (٦٩)

(٦٣) انظر المفضليات ص ١٦٥، والأغاني ٢١٤/١٣، ٣٣٧/١٦، ٣٨٩/١٧، ٢٢٠/٢٢، وديوان حسان ٤٢٤/١، وديوان الخطيئة، تحقيق نعيان أمين طه، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي ط ١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ص ٣٢٩.

(٦٤) انظر الأصمعيات ١٧٥، والنقائض ١٩١/١، ٣١٠، والأغاني ٤٧/١٣، والحيوان ١٥٩/٥، والمعارف ص ٦١٦، ولباب الآداب ص ٣٧٩، ٤٠٢، والخزانة ٤٩٠/٤، ١٨٥/٨.

(٦٥) الأصمعيات ص ٢٠٠، والمعاني الكبير ٩٠٥/٢، والخزانة ٣٧٩/٩.

(٦٦) العقد الفريد ٨٣/٦.

(٦٧) النقائض ٦٨٠/٢.

(٦٨) معجم الشعراء ص ٤٨٩، والأغاني ٦١/٥، ٦٢، ونشوة الطرب ٦٠٧/٢، ٦٤١ - ٦٤٢.

(٦٩) الأغاني ٢٢/١٣.

وقال رجل جرمي يتوعد أخواله :

ونبئت أخوالي أرادوا عمومي بشنعاء فيها تاملُ السُّمِّ مُنْقَعاً
سأركبها فيكم وأدعى مُفَرِّقاً وإن شئتم من بعد كنتُ مُجْمَعاً (٧٠)
وفي أمثالهم «تباعدت العمة من الخالة» و «أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك»
وكلاهما في ترجيح جانب العمومة على جانب الخؤولة. (٧١)

صور من علاقات العرب بأخوالهم :

قد تكون علاقات بعضهم بأخواله علاقات ود ومحبة وصفاء، وقد تكون علاقات
تباغض وتعادٍ وخصومة، والظروف الاجتماعية هي التي تشكل هذه العلاقات وتلونها
بأشكال مختلفة، فعلاقتهم بأخوالهم قد تبلغ حد الانتساب لهم والانتفاء إليهم، وفي
الحديث الشريف: «ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم» (٧٢) و «الخالة بمنزلة
الأم» (٧٣)، والحديث الأول يعني الارتباط بالأخوال والتلاحم معهم، ولا يعني
الانتساب إليهم، والولد يدعى لأبيه «ادعوهم لأبائهم» (٧٤) غير أننا نجد في العرب -
وخصوصاً في الجاهلية - من يدعى لأخواله وينسب إليهم، فأبو أزيهر ابن أنيس
الأزدي، كانت دوس أخواله، وكان لا يعرف إلا بالدوسي، (٧٥) والحارث ابن أبي شمر
الأعرج، ملك غسان، الذي يقال له الجفني، وليس بجفني، ولكن أمه من بني
جفنة (٧٦). وقال مرة بن محكان :

(٧٠) الحيوان ٤٦٨/٣، ومعجم الشعراء ٣٢٢ وروايته فيه «أرادوا نقبصتي».

(٧١) مجمع الأمثال ٤٩/١، ٥٠، ٢٣١.

(٧٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن باز وآخرين، القاهرة، المطبعة

السلفية، ١٣٨٠هـ، ٤٨/١٢، وعيون الأخبار ٨٥/٣، ورسائل الجاحظ (تحقيق هارون) ١٣/١.

(٧٣) فتح الباري ٣٠٤/٥، ٤٩٩/٧.

(٧٤) سورة الأحزاب آية: ٥.

(٧٥) المنقذ ص ٢٣٥.

(٧٦) العقد الفريد ٣٠٢/٣.

أنا ابن مَحْكَن أَخْوَالي بنو مَطَرٍ أنمى إليهم وكانوا معشراً نُجَبَا (٧٧)
ومعاذ بن صرم الخزاعي ، كانت أمه من عَكْ ، وهو القائل :
«خزاعة أجدادي وأنمى إلى عَكْ» (٧٨)

ومن المنتسبين لأخوالهم أبوعثمان المازني العالم النحوي المشهور ، وكان ينسب لبني
مازن بن شيبان ؛ لأن أمه منهم . (٧٩)

على أن بعضهم قد أقام في أخواله ولم ينسب إليهم مثل زهير بن أبي سلمى ، وأبوه
أبوسلمى (٨٠) ، وأبوزبيد الطائي (٨١) ، وعامر بن الملوح الكناني ، (٨٢) ، وسليمان بن
عبد الملك بن مروان . (٨٣)

وربما لجأ نفر منهم إلى أخواله حينما يشعر بالخطر يحرق به أو يهدد حياته وماله فإذا
هو ميمم نحوهم يلتمس عندهم السلامة والأمن ، ومن هؤلاء الذين لجأوا لأخوالهم
فاستنصروهم ، وكان أخوالهم لهم مغيثين ناصرين عبدالمطلب بن هاشم إذ نصرته
أخواله من بني النجار وخزاعة (٨٤) ، وأبو لهب بن عبدالمطلب بن هاشم حين طُلب في
سرقة غزال الكعبة . (٨٥)

وفر الجارود العبدي بإبله إلى أخواله من بني شيبان ، (٨٦) واستعدى قيس بن حسان

(٧٧) معجم الشعراء ٣٨٣ ، والشعر والشعراء ٦٨٦/٢ .

(٧٨) مجمع الأمثال ٨٦/٢ ، ٨٧ .

(٧٩) الاشتقاق ٣٥١ .

(٨٠) الأغاني ٢٩١/١٠ ، والمتلف والمختلف ١٦٤ .

(٨١) الشعر والشعراء ٣٠١/١ .

(٨٢) الأغاني ٦١/٢٢ .

(٨٣) المعارف ص ٣٦٠ .

(٨٤) المنق ص ٨٥ ، ٨٨ .

(٨٥) المصدر نفسه ص ٦٦ ، والاشتقاق ص ١٢١ .

(٨٦) المعارف ص ٣٣٨ .

ابن عمرو بن مرثد أخواله بني مجاشع على حَرْي بن ضمرة، (٨٧) وهمت بنو كلاب بقتل عامر بن يزيد بن الملوح فمنعته أخواله من بني نمير (٨٨)، واعتصم عبدالله بن عباس - رضي الله عنها - بأخواله من بني هلال فمنعوه عندما خرج إلى المدينة من البصرة، (٨٩) ومنعت علي بن عبدالله بن عباس أخواله من كندة حينما أراداه مسرف بن عقبة المري على المبايعة ليزيد بن معاوية، حتى قال علي فيهم:

أبي العباس قَرُمُ بني قصي وأخوالي الكرام بنو وَلِيَعَه
هم منعوا ذِمَّاري يوم جاءت كُتائبُ مُسْرِفٍ وبنو اللكيعة (٩٠)

بل ربما توجهت قبائل كاملة تطلب أخوالها طلباً للأمن والسلامة كما فعلت بنو عبس «حين استعظمت غطفان قتل حذيفة بن بدر، فعرفت عبس ألا مقام لها بأرضهم، فخرجت متوجهة نحو اليمامة تطلب أخوالها من بني حنيفة» (٩١).

وربما أجاز أبناء الأخوات على أخوالهم وشفعوا عندهم فَشَفَّعُوا، كما وقع لرجل من بني سعد بن عوف جار لبني ربيعة بن عجل، أكلوا إبله، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر، وكان بنو عجل أخواله، فقال الأسود لأخواله:

ياجار طلحة هل تَرُدُّ لَبُونَه فتكون أدنى للوفاء وأكرما
تالله لو جاورتموه بأرضه حتى يفارقكم إذا ما أحرما
فبعثت أخواله من بني عجل بإبل طلحة إليه، وقالوا: أما إذ كنت شفيعه فخذها،
وتول ردها لتحرز المكreme عنده دون غيرك. (٩٢)

ولذا نجد من أبناء الأخوات من يرعون للأخوال حق خؤولتهم ويحفظون لهم صلة

(٨٧) النقااض ٢/٩٤٣، ٩٤٥، ١٠٩٦.

(٨٨) الأغاني ٦١/٢٢.

(٨٩) المصدر نفسه ٣٠١/١٢.

(٩٠) معجم الشعراء ص ٢٨١، والكامل للمبرد ١/٢٦٠.

(٩١) مجمع الأمثال ٥١٦/٢.

(٩٢) الأغاني ٢١/١٣.

قرابتهم، فيذبون عن أحسابهم، ويدفعون عنهم حينها يظلمون أو يضامون، ولهذا فقد قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - لعمر بن العاص - رضي الله عنه - وقد دخل عليه وبين يديه ابنته عائشة، فقال له عمرو انبذها عنك - قال: لا تقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مَرَّضَ المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأعداء مثلهم، ورب ابن أخت قد نفع خاله (٩٣). ومن وفوا لأخوانهم واستبسّلوا لأجلهم عمرو بن عدي اللخمي الذي قتل الزباء بنت عمرو بخاله جذيمة الأبرش، (٩٤) وجساس بن مرة الذي قتل كليب بن وائل حينها أساء إلى خالته البسوس، (٩٥) ومنهم زهير بن أبي أمية بن المغيرة، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، وهو الذي نقض صحيفة قريش في مقاطعة بني هاشم رعاية لحق خوؤلتهم، ولذا قال فيه أبوطالب:

ونعم ابنُ أختِ القوم غير مكذب زهيرٌ حُساماً مفرداً من حمائل
أشُم من الشُّمِّ البهاليل ينتمي إلى حسب في حَوْمَةِ المجد فاضل (٩٦)

وكانت المهاجاة بين النابغة الجعدي وابن الحيا القشيري بسبب أن ابن الحيا هجا النابغة وهجا أخواله من الأزد، (٩٧) ولقي فضالة اليربوعي - وكانت أمه من بني سليط - جريراً فقال له: أتشتم أخوالي - يريد المهاجاة بين جرير وغسان السليطي - والله لأقتلنك، (٩٨) وشفعت امرأة من كندة، أخوالها بنو أسد، شفعت لأخوالها عند الحارث الكندي، وكانوا قتلوا ابناً لمعاوية بن عمرو، فقالت له:

أبيت اللعن هبهم لي فإنهم أخوالي، قال: هم لك، وأعتقهم (٩٩)، وقتل صخر بن

(٩٣) العقد الفريد ٤٣٨/٢.

(٩٤) الأغاني ٣١٢/١٥ - ٣٢١، ومعجم الشعراء ص ٢٠٥، ٣٢٩، وجمع الأمثال ٤١٤/١.

(٩٥) الأغاني ٣٥/٥ - ٦١.

(٩٦) السيرة ٢٩٨/١، ١٤/٢ - ١٥.

(٩٧) الأغاني ١٣/٥.

(٩٨) النقاظ ٣١/١.

(٩٩) جمع الأمثال ٣٤٦/٢.

عمرو بن الشريد دريد بن حرملة الغطفاني، فطلبته غطفان فعارض دونه أبوشجرة بن عبدالعزي، وكانت أمه الخنساء أخت صخر، وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى نجا. (١٠٠) وقال كسرى لإياس بن قبيصة - وقد أراد أن يوقع بكرة - أنت رجل من العرب، وبكر أخوالك، فأنت تتعصب لهم ولا تألوهم نصحا. (١٠١) وقد أئذر النعمان بن زرعة أخواله من بني عجل غزو الفرس إياهم، وقال لهم: إنكم أخوالي وأحد طرفي، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب. (١٠٢)

وقال الحارث بن همام:

إني وأخوالي بني عائش
وقال مَعْدَان بن جَوَّاس السَّكُونِي:

تداركت أخوالي من الموت بعدما
وقال السُّلَيْك بن السُّلَيْكَة:

أشاب الرأس أني كل يوم
يشق علي أن يلقين ضيما
أرى لي خالة وسط الرحال
ويعجز عن تخلصهن مالي (١٠٥)

وقال عِلْبَاء بن أرقم اليشكري:

أخوف بالنعمان حتى كأنما
قتلت له خالاً كريماً أو ابن عم (١٠٦)

ومن المعروف والشائع أن العرب تفخر بأخوالها وتعند بهم في مواقف الخصومة

(١٠٠) العقد الفريد ٥/١٦٤.

(١٠١) الأغاني ٦١/٢٤.

(١٠٢) المصدر نفسه ٦٤/٢٤، ٦٧.

(١٠٣) معجم الشعراء ص ٢٠٨.

(١٠٤) المصدر نفسه ص ٤٠٧.

(١٠٥) الكامل للمبرد ١١٨/٢، ونشوة الطرب ٤٣٤/١.

(١٠٦) الأصمعيات ص ١٥٩.

والمنافرة والمناظرة، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

«هذا خالي فليرني امرؤ خاله» (١٠٧)

وقال الأحنف بن قيس في خاله الأخطل بن قرط الباهلي : «ومن له خال مثل خالي» (١٠٨) ومن الشعراء الذين أشادوا بأخوالهم وفخروا بهم وأثنوا عليهم خيرا، لبيد بن ربيعة إذ يقول :

وشارف في قرى الأرياف خالي وأعطى فوق ما يُعطي الوفود
وخالي حذيم وأبو زهير وزنباع ومولاهم أسيد (١٠٩)
وأبوهب عبدالعزيز بن عبدالمطلب بن هاشم في قوله :

إذا القرشي لم يضرب بعرق خزاعي فليس من الصميم (١١٠)
وعوف بن الأحوص الذي يقول :

ولتكن نلت مجد أب وخال وكان إليهما يُنمى العلاء (١١١)
وكعب بن الأشرف في قوله :

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية أباء أنف
لين الجانب في أقربيه وعلى الأعداء كالسُمّ الذعف (١١٢)

(١٠٧) الترمذي: السنن وهو الجامع الصحيح، ضبطه وصححه عبدالرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٣١٣/٥، والمعارف ص ٢٤١ وروايته فيه : «هذا خالي فليات كل رجل بخاله».

(١٠٨) المعارف ص ٤٢٣.

(١٠٩) شرح ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، الكويت، وزارة الإعلام، ط ٢، ١٩٨٤م ص ٣٩، ٤٠ والمشاركة: ولاية الجباية على الأرياف، وكل هؤلاء الذين ذكرهم عيسى من أخواله.

(١١٠) الزحشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، بدون تاريخ ٥٣٣/٣.

(١١١) الفضليات ص ١٧٥.

(١١٢) معجم الشعراء ص ٣٤٣.

وشبيه به قول حسان بن ثابت :

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية في اليوم الخصر
يوقد النار إذا ما أطفئت يعمل القدر بأثجاج الجزر (١١٣)
ولعل حسان بن ثابت والفرزدق من أكثر الشعراء وأشهرهم فخراً بأخوالهما فحسان
يفخر بأخواله من بني كعب فيقول :

جدي أبو ليلى ووالده عمرو وأخوالي بنو كعب (١١٤)
وقال - وتزوج امرأة من الأنصار فعيرته بأخواله - وكان حسان يحب أخواله ويغضب
لهم :

سألت حسان من أخواله إنما يُسأل بالشيء الغمر
قلت أخوالي بنو كعب إذا أسلم الأبطال عورات الدُّبر (١١٥)
أما الفرزدق فهو فخور بأخواله من بني ضبة ، وهو كثير الإشادة بهم ، وخاصة في
نقائضه مع جرير ، ومن فخره بهم قوله :
وضبة أخوالي هم الهامة التي بها مُضِرٌّ دَمَاغَةٌ للجماجم (١١٦)

وقوله أيضاً :

يابن المراغة أين خالك إنني خالي حُبَيْشٌ ذو الفِعال الأفضَلُ
خالي الذي غَصَبَ الملوك نفوسهم وإليه كان حباء جَفَنَةٍ يُنْقَلُ (١١٧)

(١١٣) ديوان حسان ٣٠٧/١ ، والأغاني ١٥/٣ - ١٨ ، والبرصان والعرجان ص ٢٣٨ .

(١١٤) الأغاني ١٨/٣ .

(١١٥) ديوان حسان ٣٠٧/١ وانظر نهاذج آخر من فخر حسان بأخواله في ديوانه ٤٠/١ ، ٣٩٥ ، والسير ١٥٧/٣ ،
والخزاة ١٥٦/١١ .

(١١٦) النقائض ٣٧٧/١ ، ٧٤٦/٢ .

(١١٧) المصدر نفسه ١٩٨/١ ، وخاله حبش بن دلف من بني سعد بن ضبة ، وهو الذي أسر عمرو بن الحارث بن
أبي شمر بن الحارث بن حجر ، وانظر نهاذج آخر من فخره بأخواله في المصدر نفسه ١٨٨/١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ،

٢٦٧ .

وكان جرير بن عطية يواجه فخر الفرزدق بفخر مثله ؛ لأن فن النقائض يتطلب مثل هذه المقابلة والمقارعة ، وإن يكن جرير أقل إلحاحاً من الفرزدق على هذا اللون من الفخر، ومن فخره بأخواله قوله :

ما السَّيِّد حين نذبت خالك منهم كبني الأشد ولا بني النَّزَالِ
خالي الذي اعتسر الهذيل وخيله في ضيق معترك لها ومجال
جئني بخالك يا فرزدق واعلمن أن ليس خالك بالغاً أخوالي (١١٨)

ولما تنافر القعقاع بن معبد بن زرارة وخالد بن مالك بن ربيعي إلى ربيعة بن جراد الأسلمي قال القعقاع : «رَأْسٌ من أعمامي عشرة ومن أخوالي عشرة» ، (١١٩) ونحوه قول عبدالله بن أبي عيينة :

بأعمامي وأخوالي أقامت قريشٌ مُلْكَهَا وبها تُهاب
متى ما أَدْعُ أخوالي لحرب وأعمامي لنائبة أجابوا (١٢٠)

وقال مَعْقِل بن خُوَيْلِد الهذلي :

بنو فالج قومي وهم ولدوا أبي وخالي ثِمَالُ الضيف من آل فاتك
كأن امرءً كانوا هم أهل أمِّه نَمَى رحلَه عند النجوم الشَّوَابِك (١٢١)

لكن علاقة العربي بأخواله لم تكن دائماً علاقة تصافٍ وود ، بل ربما أحسَّ منهم جفاءً أو ظلماً أو قعوداً عن النصرة والتأييد في مواقف الحاجة والضرورة ، عندئذٍ يعاتب

(١١٨) المصدر نفسه ٣٢٤/١ ونحوه في ١٠٢٣/٢ .

(١١٩) مجمع الأمثال ٢٥٨/٣ .

(١٢٠) الكامل للمبرد ٤٠/٢ .

(١٢١) شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبدالستار فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ،

مطبعة المدني ، ٤٠٠/١ ، وانظر نياذج آخر من فخرهم بأحوالهم في الأغاني ٢٣٤/٤ ، ١٣٦-١٣٧/٨ ،

٢٠٦/٢٠ ، ٢٠٧ ومعجم الشعراء ص ٢٥٥ ، والشعر والشعراء ٤٠٦/١ ، والمؤتلف ص ١٠٥ ، والمعارف

ص ٥٨١ ، وعيون الأخبار ٦٤/٤ ، والخزانة ١٨/٢ ، ٣٨/٧ .

الرجل أخواله ، ولعل مما يمثل موقف اللوم والعتاب قول المتلمس الضبعي ، وقد لمزه خاله الحارث بن التوهم الإشكري :

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانيين ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما (١٢٢)

أما طرفة بن العبد فيعاتب أخواله وقد ظلموا أمه وردة حقها :

ما تنظرون بهال وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب
والظلم فرق بين حيي وائل بكر تساقوها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجى والكذب يألفه الديني الأخيب (١٢٣)

وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي لخاله إياس بن سهم :

فأبلغ إياساً أن عرض ابن أختكم رداؤك فاضطن حُسْنَه أو تبذل
فإن تك ذا طول فإني ابن أختكم وكل ابن أخت من مدى الخال معتي
فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه فمهما تكن أنسب إليكم وأشكل
وما ثعلب إلا ابن أخت ثعالب وإن ابن أخت الليث ربّال أشبل (١٢٤)

غير أن هذا العتاب للأخوال ربما تطور إلى لون من ألوان الهجاء ، حينما تستخدم الخصومة وتشتد العداوة ، وإذا كان حرملة بن عسلة المري رفض أن يهجو أخواله ، حينما طلب إليه المنذر بن ماء السماء أن يهجو الحارث بن جبلة فقال له : أبيت اللعن ، إنهم أخوالي ، وإنه لا ينبغي لي أن أهجوهم ، وقال في ذلك :

(١٢٢) ديوان المتلمس ، تحقيق حسن الصيرفي ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ٢٩-٣٣ والأصمعيات ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، والحيوان ٣/١٣٦ ، والكامل للمبرد ١/٢٧٩ .

(١٢٣) ديوان طرفة ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ١٠٧ ، والشعر والشعراء ١/١٨٧ ، ١٨٨ .

(١٢٤) شرح أشعار الهذليين ٢/٥٢٨ - ٥٣٠ ، والحيوان ١/٣٥٣ ، وعيون الأخبار ٣/٨٩ ، ٩٠ .

وغسان قوم هم والدي فهل يُنسيَنهم أن أغيباً
وإن لخالي مندوحة وإن عليّ بغيب رقيباً (١٢٥)
أقول: إذا كان هذا الشاعر قد رفض أن يهجو أخواله فإن من الشعراء نفرأ قد
هجوأ أخوالهم، بل إن منهم من أقذع في هجائهم، وقصة لبيد مع خاله الربيع بن
زياد العبسي مشهورة. (١٢٦)

وقد يأخذ الهجاء منحىً قليلاً فيكون للقبيلة التي ينتمي إليها الأخوال إمعاناً في
الإساءة والإيذاء، فالقتال الكلابي يُعير أخواله من بني العجلان بأنهم ليسوا أكفاء لبني
جعفر بن كلاب، وبأنهم لم يستطيعوا الأخذ بدماء قتلاهم منهم، فيقول:
إذا ما لقيتم عصبة جعفرية كرهتم بني اللكعاء وقَعَ النيازك
فلمستم بأخوالي فلا تصلُنني ولكنما أُمى لإحدى العواتك
قصار العماد لا ترى سرواتهم مع الوفد، جثامون عند المبارك
قتلتم فلما أن طلبتُم عُقلتُم كذلك يؤتى بالذليل كذلك (١٢٧)
أما جبيب بن تميم المجاشعي، فكان قد ضاف قوماً من بني مجاشع يقال لهم
بنو القَدّاح، وكانوا أخواله، فلم يحمدهم فقال:
طلبنا بني القَدّاح إذ ذكروا لنا سواء بنو القَدّاح والبلد القفر
وجدنا بني القداح كان قديمهم كبيت الزواني لا كفاء ولا ستر
ألا ليت أُمي لم تلدني ولم يكن لنا في بني القداح أم ولا صهر (١٢٨)
وأما منير بن صخر الراسي فلجأ إلى أخواله من بني قيس بن ثعلبة فلم يستروه من
ابن زياد، فقال يهجوهم:

(١٢٥) الخزائن ٩١/١٠، ٩٢.

(١٢٦) الأغاني ٣٦٣/١٥ - ٣٦٥، ١٧/١٨٤.

(١٢٧) المصدر نفسه ١٧٧/٢٤ - ١٧٨.

(١٢٨) المؤلف والمختلف ص ٩٦.

وجدت بني قيس لثاماً أذلة كثير خناهم ضحكة في المحافل
وجدتهم لما أتيت بلادهم ضعافاً قواهم نهضة للقبائل (١٢٩)
والنمر بن تولب العكلي من أولئك الشعراء الذين لم يحمدا أحوالهم فألهبهم
بالهجاء المقذع، ومن شعره فيهم قوله:
إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يغرزك خالك من سعد
فإن ابن أخت القوم مصغى إناءه إذا لم يزاحم خاله بأب جلد (١٣٠)
وعروة بن الورد، كانت أمه نهديّة، وأحس أن أحواله ليسوا بذوي نباهة وشرف
فقال:

وما بي من عار إخال علمته سوى أن أحوالي - إذا نسوا - نهّد (١٣١)
وقيس بن مكشوح المرادي قال لخاله عمرو بن معديكرب الزبيدي، وكانا
متباغضين:

لعلك مؤعدي بيبي زبيد وما جمعت من نوكى لثام (١٣٢)
وربما أخذ الهجاء منحىً فردياً إذ يوجّه الهجاء إلى الخال أو الأخوال دونها إشارة إلى
قبائلهم، ومن ذلك قول أبي سلمى والد زهير، في خاله أسعد المري وابنه كعب، وكان
حل أمه من عندهما وفارقهما:

ولتغدون إبل مجنبة من عند أسعد وابنه كعب
الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب (١٣٣)

(١٢٩) معجم الشعراء ص ٤٧٦ وانظر ناذج آخر من مثل هذا الهجاء في الكامل للمبرد ٣٣٨/١ والمؤتلف ص ٥٤.

(١٣٠) الحيوان ١٣٧/٣، والشعر والشعراء ٣١٠/١، وعيون الأخبار ٨٩/٣.

(١٣١) ديوان عروة، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق، نشر وزارة الثقافة والإرشاد، بدون تاريخ، ص ٤٧.

(١٣٢) معجم الشعراء ص ٣٢٣ وارجع إلى نظائر لهذه النصوص في جبهة النسب لابن الكلبي، تحقيق ناجي حسن،

بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ١٨، والسيرة ١١٧/٢.

(١٣٣) الأغاني ٢٩٣/١٠، والشعر والشعراء ١٤٣/١.

ومن ذلك قول عطف بن نشة الشيباني في خاله عدي بن ضب :
 عدِّي بن ضب من تكن أنت خاله أخبا أمه تدلج بلوم ركائبه (١٣٤)
 أما ابن ميادة فقال في خاله عقبة بن كعب بن زهير :
 إن تك خاليا قُبَحَتْ خالا فأنت الخال تَنْقُصُ لا تزيد
 فيوماً في مزينة أنت حرٌّ ويوماً أنت مَحْتَدُك العبيد
 أحق الناس أن يُلْقَى هواناً ويؤكل ماله العبد الطريد (١٣٥)

صور من علاقات الأخوال بأبناء الأخوات :

على أن من الأخوال من عاتب أبناء الأخوات - قَرِينٍ أو بَعْدَنَ - لتقصير بحقه من قبلهم ، أو لجفاء أو لقطيعة ، فأعشى همدان كان من أخوال ابن الأشعث وله معه مواقف محمودة ، ولما صار ابن الأشعث إلى سجستان جبي مالا كثيراً ، فسأله أعشى همدان فمنعه ، فقال :

نحن وَلِينَاكَ فلا تَجْفُنَا والله قد وَصَّاكَ بالوالد
 إن تك من كندة في بيتها فإن أخوالك من حاشد
 شم العرانيين وأهل الندى ومنتهى الضيفان والرائد
 فازتج لأخوالك واذكرهم وارحمهم للسلف العائد
 فإن أخوالك لم يبرحوا يُرُون بالرَّفْدِ على الرافد
 لم ييخلوا يوماً ولم يجبنوا في السلف الغازي ولا القاعد (١٣٦)

وقال عمرو بن معديكرب في ابن أخته قيس بن المكشوح المرادي :
 أريد حِبَاءَهُ ويريد قتلي عَذِيرَكَ من خليلك من مراد (١٣٧)

(١٣٤) معجم الشعراء ص ٢٩٩ .

(١٣٥) الأغاني ٢/ ٢٦٨ .

(١٣٦) المصدر نفسه ٦/ ٤٨ ، ٤٩ .

(١٣٧) الخزائن ١٠/ ٢١٠ .

وعاتب الفرزدق الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي بقوله :
أحارث داري مرتين هَدَمْتَهَا وكنت ابنَ أختٍ لا تُخافُ غوائله (١٣٨)
وكتب الأحوص إلى عمر بن عبدالعزيز، وكان استأذنه في القدوم إليه ليمدحه فأبى
عليه :

فكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى مُوثقاً في الحبائل (١٣٩)
غير أن من الأخوال من فخر بمن هم خوؤلة له، لأنه كان في مستوى الرجاء
والآمال، فحسان بن ثابت - رضي الله عنه - يقول:
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً (١٤٠)
وحين سأل المنذر بن ماء السماء ذا البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة : كيف أنت
في أهل بيتك؟ قال : «أنا أبوعشرة، وعم عشرة، وخال عشرة» (١٤١).

ومن الأخوال من مدح أبناء الأخوات ؛ لأنهم كانوا حفيين بهم ، راعين لحق
خوؤلتهم، ومن أمثلة ذلك قول أبي طالب في شأن زهير بن أبي أمية المخزومي الذي
نقض صحيفة قريش، وقد تقدمت (١٤٢) وقال سلمة بن الخرشب يمدح بني زياد
العبيسي من أخته فاطمة، يخاطب قوماً من بني عبس أرادوا حربه :
أتيتم إلينا تُرْجِفونَ جَماعَةً فأين أبو قيس وأين ربيع
وذاك ابنَ أخت زانه ثوبُ خاله وأعماله الأعمام وهو نزيع (١٤٣)
ومن الأخوال من رثى ابن أخته بعد موته ألماً له وأسى عليه، ومن هؤلاء أبو زبيد
الطائي الذي رثى ابن أخته اللجلج الطائي بقوله :

(١٣٨) النقائض ٢/٦٠٧، ٦٨٣ قوله : ابن أخت : أراد أسماء بنت محزبة أم ولد هشام بن المغيرة، وهي نهشلية.

(١٣٩) الأغاني ٩/٦٦، والخزائن ٣/٣٤٠.

(١٤٠) ديوان حسان ١/٣٥، والحيوان ٧/١٤٨.

(١٤١) النقائض ٢/٧١٤، ونشوة الطرب ١/٤٣٩.

(١٤٣) الأغاني ١٧/١٨٢.

(١٤٢) أنظر ص ١٤.

كان عني يرد دَرُّوكَ بعد الله شَغَبَ الْمُسْتَضْعِبِ الْمِرْدِ
 من يكدي بسيء كنت منه كالشَّجَا بين حلقه والوريد (١٤٤)
 ورثي عبد مناف بن ريع الهذلي دُبْيَّةَ السلمي ، وكانت أمه هذلية ، فقال :
 فيالهفتي على ابن أختي لهفَّةً كما سَقَطَ المنفوسُ بين القوايل
 فعيني ألا فابكي دُبْيَّةً إنه وصولٌ لأرحام ومِعْطَاء سائل (١٤٥)
 ومن الأخوال من جاور أبناء الأخوات عند الشعور بالخطر ، وقد يكون ذلك على
 مستوى القبائل كما فعلت بنو عبس حين خرجت من ديار بني حنيفة في اليمامة ولحقت
 ببني عامر بن صعصعة ، ونزلوا على بني شكل من بني الحريش ، وهم بنو أختهم ،
 كانت أمهم عبسية ، فجاوروهم . (١٤٦)

المدح بالأخوال والهجاء بهم :

والعرب تمدح بنباهة الخال وشرفه وعلو منزلته ، لأن للخؤولة - كما قدمنا - مكانة في
 نفوسهم ، وأهمية في مجتمعهم ، ذلك المجتمع القبلي الذي تركز معايير الاجتماعية
 بالدرجة الأولى على شرف الأحساب ، ونقاء الأنساب ، ولهذا فإنهم أول ما يتناولون
 في الرجل أعراقه وأصوله من قبل أبويه .

ومن المدح بالأخوال ما يقترن بالمدح بالآباء ، ومن ذلك مدح حسان بن ثابت
 لربيعة بن عامر ، ملاعب الأسنة :
 أبوك أبو الفععال أبو براء وخالك ماجد حَكَمٌ بن سعد (١٤٧)
 وقول أبي نعيمة النمري يمدح رجلاً من رهطه :

(١٤٤) الخزانة ٧٦/٩ .

(١٤٥) شرح أشعار الهذليين ٢/٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(١٤٦) النقائض ٩٩/١ .

(١٤٧) ديوان حسان ١/٢٣٢ ، والسيرة ٣/١٩٦ .

أَبُوكَ زَعِيمُ بَنِي قَاسِطٍ وَخَالِكَ ذُو الْكَبْشِ يَقْرَى الرَّحْمَ (١٤٨)
وربما قرنوا المدح بالأخوال بالمدح بالأعمام لأنها طرفا الرجل ، ومن أمثلة ذلك ما
قاله عبدالله بن الزُّبَيْرُ يمدح العاصي بن منبه :

وَالْعَاصِي بَنِ مِنْبِهِ ذَامِرَةٌ رَحْمًا تَمِيًّا غَيْرُ ذِي أَوْصَامٍ
تَنْمَى بِهِ أَعْرَاقُهُ وَجَدُودُهُ وَمَآثِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ (١٤٩)
ومن ذلك قول جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

لَكَ الْمُتَخَيَّرَانِ أَبَاً وَخَالَا فَأَكْرَمُ بِالْخَوَلَةِ وَالْعَمُومِ (١٥٠)
وقال أبو فرعة الكناني :

يَا أُمَّ نَعْمَانٍ نَوَّلِينَا قَدْ يَنْفَعُ النَّائِلَ الطَّفِيفُ
أَعْمَامُهَا الصَّيْدُ مِنْ لَوْيَ حَقًّا وَأَخْوَالُهَا ثَقِيفُ (١٥١)

وربما مدحوا بالأخوال دون غيرهم ، ومن ذلك قول ابن مقبل :
جَمِ الْمَخَارِجِ أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ صِلَتُ الْجَبِينِ كَرِيمِ الْخَالِ مَغْوَارِ (١٥٢)
وكما مدح العرب بالأخوال ذموا بهم ، وهجوا مناوئتهم ومنافريهم بأخوالهم ، ولولا
أهمية كرم الخال ونباهته عندهم لاقتصروا على الهجاء بالأباء والأعمام ، ولعل العرب
لحظوا في هذا جانب نزوع الرجل إلى أخواله في الملامح والقرائح والطبائع كما أسلفنا ،
فهم إذا ذموا الرجل بالتعرض لأخواله ، فكأنما يريدون بذلك نزوعه إلى أخواله في هذه
الصفات الممقوتة في الخال .

(١٤٨) الأغاني ١٣/١٤٠ .

(١٤٩) السيرة ١٦/٣ وقال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زرارَةَ بن النباش .

(١٥٠) ديوانه ، تحقيق نعيان محمد طه ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١م ، ١/٢١٨ والسيرة ١/٩٦ ، والكامل للمبرد
١٣٩/٢ .

(١٥١) الأغاني ٨/٣٢٦ ، وانظر أمثلة أخرى من المدح بالعمومة والخزولة في المصدر نفسه ١٦/٢٧٧ ، ٢٤/١٩٠ ،
والسيرة ٣/١٥٩ ، والكامل للمبرد ٢/١٨ ، والحيوان ٣/٩٣ .

(١٥٢) العمدة ٢/١٨٩ ، ونحوه في الخزنة ٢/٢٣٧ .

وكما كان المدح بالخبثولة مقترناً بالمدح بالأبوة تارة، وبالعُمومة تارة، وبإفراد الأخوال بالمدح أخرى، فكذلك الحال بالنسبة للهجاء بالأخوال ومن أمثلة هجائهم بالخبثولة مع هجائهم بالأبوة قول جهنم البكري يهجو الأعشى :

أَبُوك قَتِيل الْجَوْع قَيْسُ بْنُ جَنْدَلٍ وَخَالِكَ عَبْدٌ مِنْ خُمَاعَةَ رَاضِعٌ (١٥٣)
وقول فرات بن حيان العجلي لحسان بن ثابت :

أَبُوك أَبُو سَوْءٍ وَخَالِكَ مِثْلُهُ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ أَيْبِكَ وَخَالِكَ (١٥٤)
وكان عمرو بن الأهتم، بعد أن أثنى على الزبرقان بن بدر، ذمه بقوله : «إنه لزمير المروعة، ضيق العطن، أحمق الوالد، لثيم الخال». (١٥٥)

أما الهجاء بالخبثولة مقروناً بالهجاء بالعُمومة فمنه قول الفرزدق يهجو جريراً :
كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَاجْرِيرَ وَعَمَّةٌ فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي (١٥٦)
وقول جرير يهجو خالداً العبدي :

كَمْ عَمَةٍ لَكَ يَاخْلِيدُ وَخَالَةٍ خَضِرٍ نَوَاجِذُهَا مِنَ الْكُرَاتِ
نَبَتَتْ بِمَنْبَتِهِ فَطَابَ لِرِجْهَها وَنَأَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجُشْجَاشِ (١٥٧)
وربما أفردوا الأخوال بالهجاء بهم، كما قال حسان بن ثابت لخالد بن أسيد أو لأسيد بن أبي العيص :

أَلَا أَبْلُغَا عَنِي أَسِيداً رِسَالَةً فَخَالِكَ عَبْدٌ بِالشَّرَابِ مَجْرَبٌ (١٥٨)
وقول اللعين المنقري في هجائه الفرزدق :

(١٥٣) الأغاني ١٠٨/٩.

(١٥٤) معجم الشعراء ص ٣١٧، ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث.

(١٥٥) العقد الفريد ٢٦٦/١، ومجمع الأمثال ٩/١.

(١٥٦) النفاض ٣٣٢/١، ومجمع الأمثال ٥٢٠/٣، والخزانة ٤٩٣/٦.

(١٥٧) ديوان جرير ١٠٢٤/٢.

(١٥٨) ديوان حسان ٣٨٣/١.

وما كان الفرزدق غير قين لثيم خاله للؤم تالي (١٥٩) وقول الفرزدق في هجاء جرير:

إن ابن بني كليب خاله يوم التفاضل ألام الأخوال (١٦٠) وكان جرير كثير الهجاء للفرزدق بخؤولته ؛ لأن الفرزدق كثير الاحتفاء بأخواله من بني ضبة كما سلفت الإشارة إلى ذلك في موضعه من هذا البحث ، ولذا فإن جريراً كان كثير الإلحاح على ثلب أخوال الفرزدق وذمهم ، ومن ذلك قوله :

كان الفرزدق إذ يعودُ بخاله مثل الدليل يعودُ تحت القرمل
وافخر بضبة إن أمك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المَخول (١٦١)
وعاتب عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه، رجلاً من قريش، خاله عقيل بن عُلفَة، فقال له : «قبحك الله أشبهت خالك في الجفاء، فبلغت عقيلاً، فقال لعمر: ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به إلا خؤولتي». (١٦٢)

وبعد، فلعل القارئ لهذا البحث يلاحظ فيه كثرة استشهادي بالنصوص ، وهذا عائد إلى أنني قد حرصت على أن أنقل صورة صادقة عن هذه العلاقة في إطارها الصحيح من خلال ما قالته العرب وحدثت به ، دون لجوء إلى التعليقات المسهية على هذه الاستشهادات . وليست مادة هذا البحث هي كل ما ظفرت به في هذا الموضوع ، بل إن لديّ قدراً صالحاً من نظائر هذه النصوص التي أوردتها لتأليف كتيب في الخؤولة عند العرب ، لكنني اصطفيتُ من كل ذلك تلك النصوص الدالة ، التي ترسم معالم هذه العلاقة الاجتماعية دونما عناية بما هو أقل منها دلالة ، وأرجو أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع - وما توفيقي إلا بالله . .

(١٥٩) الخزانة ٢٠٨/٣ .

(١٦٠) النقائض ٢٧٨/١ .

(١٦١) المصدر نفسه ٢٢٥/١ ولهذا الهجاء نظائر في ١٤٧/١ ، ١٠٤٠/٢ ، والاشتقاق ص ١٩٢ .

(١٦٢) الأغاني ٢٦١/١٢ .